الحيازة الروحية و المركزية للأماكن المقدسة في العالم الإسلامي

Spiritual and Central Status of the Holy Places in the Islamic world

جويده غانم

قسم الفلسفة, جامعة البويرة– الجزائر

samiraphilo_2007@yahoo.fr

Abstract:

The holy places are symbolic, material, social, economic and strategic capital. The centrality of the sacred places challenges the national identities and the articulations of borders and theories of colonial geography. The paper attempts to highlight the basis for acceptance of the given place to be regarded as sacred, the existential reality and the initial formation of the holy places. It also emphasizes the transcendental and divine significance of such places that contributed to the formation and positioning of these places as holy. It further attempts to explore the effects of the holy places on the formation of human morale and its reorientation according to the sacred plan. And how these symbolic places develop and shape the discourse of knowledge and renaissance, and that of revolution and liberation from colonialism?

Keywords: holy places, empire, sacred, transcendence, strategy

مقدمة:

تحظى الأماكن المقدسة في العالم الإسلامي مساحة كبيرة جغرافيا،منتج دلاليا،مترابط معنويا وماديا ، وإذا كانت هذه الأماكن لها من التموقع ما يجعلها تحتل مفهوم القدسي، أو تكون جزءا منه ، فإن هذه الصفة قد أدت إلى تمايزها عن سائر الأماكن في العالم ،كون مسألة القداسة الذي تجلى فيها آنفا ، سواء كان وحيا ، أو تكليما إلهيا [**إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى**] [1] أو تكلما بشريا [**وجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْت**][2]

وقد اشتملت هذه الحالات على إعطاء صفة متفردة للمكان الذي تم معاينته من خلال سلسلة تجارب نفسية عايشها الأنبياء و الأولياء ، لتتموقع ضمن عالم لا يعرف سكينة التدفق و توجيه المسير نحوه ، بالتالي فإن الحديث عن هذه الأماكن ، يفتح الحديث اتساعا عن الأهمية و المكانة و الحيازة التي فاقت في منطقها امتلاك مساحة أعظم و أشمل .

هي لغة تفتح التاريخ و الحضور الراهن مرة أخرى أن يُساءل ويتساءل عن وضعيات هذا الحيز المنحاز، وعن احتوائه لهذا المكان المنحاز ، المنحاز طبعا عن غيره ، في سره و كنهه ،في زمانه و تاريخه، في شخصه و مطلقه ، في حركته و سيره ،في ميلاده و اكتماله، في ديمومته وكيانه ،وفي عوده الأبدي

آن وبصفة أخرى، لذلك الشعور الروحاني، أن يستنطق تلك الدلالات و الانزياحات ،التي عبر عنها كل من المكان، والزمان ،والتاريخ ،في استقراء و استرجاع وقائعية المركز المقدس و صلته الأنتربولوجية و الأنثوغرافية ،في تطويب مساحته ،و فهم التحديات التي تنبثق منه طوعا ،إما تقليصا أو توسيعا.

[1] القرآن 20 :12

Al-Qurān 20:12

[2] القرآن 19: 30.31

Al-Qurān 19:30-31.

وبالتالي تطرح مسألة الأهمية، في هذا الموضوع، من زاوية التركيبية ،التي جمعت في أصل تكونها تلك الخاصية الأساسية التي استغرقت جميع ميادين الحياة و مراحلها ،بناءً على ما تتطلبه شعوب هذه الأماكن من تحدي كلي ،و قوام تذاوتي يلزم لهذه الروحانية أن تدفع به إلى تحقيق مركزه كما يجب على هذا المنتمي أن يدفع بهذه الروحانية إلى تجاوز مركزه ،وتقديسا لمقدسه المطلق الذي أطلق تعيينات هذا المكان في علمه الأول في ظل ما يعرفه التحدي الذي يواجه هذا المركز ، كون الصراع المستقبلي سيكون صراع دين أو لا دين.

الإشكالية:

المقترب من تاريخ نشأة الأماكن المقدسة ،يستحضر في البحث الموضوعي الإمكانات التأسيسية التي تستوجب ذلك الإستضمان الذي حملته في بنيتها من أصالة للمقدس و رسالته التجميعية إلى ذلك الانفتاح الهائل في الحدود و الجغرافيا التي أهلتها ان تكون دائما في حياة مستمرة لا يشهد الزمن أبدا على موتها ،كون المفارقة القدسية المتعالية قد رهنت لهذه المواقع لمسيرة الإنسان ،و التاريخ ،و للزمن القدسي ، الذي سيبقي كلمة القدسي ذاتها باقية إلى أبد الآبدين.

بالتالي تشهد هذه الأماكن في عنوانها الأكبر ،بقاءا دائما ، متجددا ،قد شكلت إقداما تكراريا و متتاليا لتلك المواقف الإنسانية التي كانت جزءا من تكوينه الأوَّلاني من جهة ،و من جهة أخرى ،تتبعا لتلك الإقدامات الوافدة إليها من كل أنحاء العالم ، و التي ساهمت بشكل ضخم أن تفتح العلاقات مع بني البشر ،وبالتالي فإنها تشكل في عمقها الإستراتيجي خارطة طريق متفردة في دعم قضايا الإنسان و العالم و الأخلاق ، ما أدى إلى تفاعل هذه التأثيرات مع كل أنماط الوجود و مظاهرها ، لتبقى أصنام هذه البشرية تتحطم كل يوم أمام عظمة هذه الأماكن و أبطالها التأسيسيين .

لا يتوقف النداء إذن من هذه الأماكن ، ولا يتوقف الذهاب إليها كونها تمثل في حد ذاتها رأسمالا رمزيا و ماديا و اجتماعيا و اقتصاديا و استراتيجيا ، حيث يشكل المثول الشاهق لأبنيتها وامتداد مساحاتها وثبة حضارية في قمة الصمود الدائم ،لها من الرصيد الوجودي ما يجعلها قبلة لأي تحدي ظاهر ، أو صراع متجدد ، و مقبل ،و الكفيل على إشعال النار بين الهويات القومية،و تمفصلات التي تصنعها الحدود ونظريات الجغرافيا.

- فعلى أي أساس يتم استقراء الواقع الوجودي و التشكيل الأوّلاني للأماكن المقدسة ، خاصة إذا ما نظرنا لتلك العلامة الفارقة في جلال ذلك القدسي المتعالي المساهم في تكوينه وموضعته؟.

- ما الأثر الذي تجليه على تكوين المعنويات الإنسانية و إعادة توجيهها وفقا لتلك الخطة التي أحكمتها السنة التاريخية للوجود و التي تقر في البدء كانت الأخلاق؟

- ما الحال التاريخي والسياسي التي تخلقه اتجاه سلطة خطاب المعرفة و النهضة و سلطة خطاب الهيمنة والامبراطورية ؟

الأهداف:

- إعادة النظر في ماهيات المركز من حيث المعنى و الدلالة ،و الأثر الذي مثلته تلك التعيينات الموضوعية له.

- مراجعة وقائع عديدة للمكان و الزمان و العقائد و الألوهة ،داخل عام لا أسرار فيه.

- معرفة مدى الأهمية التي تتميز بها الأماكن المقدسة و مدى الانوجاد الذي ستلعبه في الصراع و التحدي الحضاري و الثقافي .

- البحث عن تأصيل بمفهوم جديد للمساحة الجغرافية، التي عكسته هذه الأماكن في تحقيق معنى الوحدة الإنسانية من منظور رباني خالص. ثقافة و دينا و ثورة و تمركزا.

يغدو المنهج المستخدم في هذه الدراسة هو المنهج المقارن التحليلي الذي يستحضر ذلك الاستنباط في النماذج الإدراكية المتعددة والتي تلزم الباحث أن يقتفي آثار المعرفة في شكلها الثابت والمتغير الذي تتحكم فيها إرهاصات عادة ستؤول بالمادة البحثية ان تتطور في أن تتخذ أشكالا جديدة في النماذج المعرفية والرؤى التحليلية المقارنة.

المبحث الأول_ المكان المقدس كنظرية في المعرفة و الوجود:

لا يمكن أن نتحدث عن الأماكن المقدسة ،دون أن نتطرق للحديث عن طبيعتها الفلسفية و تشكيلها المعرفي، وسط هذا الزخم المتعدد للثقافة الراهنة ،خاصة في ظل ما تطرحه المفاهيم الجديدة للزمان، و المكان، و العقائد ،و الألوهة . قد أشار مرسيا إلياد (Eliade) للمكان المقدس ،على أنه يوجد داخل حيز له قوام ،بمقابل و جود أمكنة أخرى غير هذا الحيز المقدس ليس لها قوام ، و بالتالي فإن النظر في التجربة الدينية التي تقر بعدم تجانس الأمكنة في حالها و مقامها ،في بدئها و تشكلها ،قد يلحظ في الوقت ذاته تجربة أصلية بريئة، قابلة للمقارنة بذلك السر الكامن من وراء تشكيل العالم ، حيث لا يتعلق وجوده بإذن إلهي فقط ، وإنما بتجربة دينية بدئية سابقة عن كل تفكير مسبق، حول هذا الكون و حول هذا الحيز المقدس بالذّات. [3]

1 مرسيا إلياد: ***المقدس و المدنس***،ترجمة،عبد الهادي عباس.(سوريا: دار دمشق للطباعة و النشر،ط1 ،1988م) ،25 .

Marcea Eliade: al-Muqaddas wa al-mudannas, Tarjuma ’Abd al-Hādī ’Abbas (Surya: Dār Damishq li Tabā’ah wa al Nashar, Ṭabā`ah-1, Maṭbū’ah 1988), 25.

وعرف شلهود المكان المقدس[*] على أنّه عبارة عن مجال للأرض معزولا عن المجال المدنس ،الذي يسمح للإنسان أن يمارس استغفاره فيه ،كون هذا المكان تجلت فيه حقيقة إلهية خفية ،كان لهذا المكان الدور الأكبر في إيضاحها و تبيينها.[4]

وبالتالي فإن الحقيقة الإلهية التي كان لها القدر في تكوين هذا المكان البدئي ،ما هي إلا رغبة الله الحقيقية ليجعل لهذا المكان رموزًا روحية خاصة، عبر سلسلة من الحلقات التكوينية ،ثم بعث الله أنبيائه إيذاناً بتولي المهمة كاملة لدعوة البشرية إليه بعناية محكمة ، وبخطة دقيقة لتطويب المكان عينه.

ومهما بدت دائرة تأثير المقدس ضيقة في الحياة العصرية ، فمن الثابت أن المقدس قد احتفظ على مر التاريخ بمفهومه الأكثر أصالة ، من حيث الوحدة و التنوع ،ولكن بالمقابل هناك تحديات متشابكة يفرضها واقع الحياة اليومية التي ترصد الهلاك و اليأس في نفوس الناس و تفكيرهم صوب هذا المقدس المنزه المتعالي.[5]

ونتيجة لما ترتب عن الحياة الدنيوية كفِلت العناية الإلهية للمكان المقدس صفة الجوهر المتعالي عن كل دنس أرضي لا يمسّه و لا يشهده إلا في حال ابتعاد البشرية عن مهامه، آو عن رسالته.

وهذا المكان الذي عيّنه المتعالي، له من القداسة و الجلالة ،ما جعل المصدر الإلهي المفارق له ينسبه إلى حاله، لما له من حرمةٍ، و تكريمٍ ،و تشريعٍ ،و حتى تتوجه إليه كل البشرية للطلب التوبة، و الاستغفار، وبالتالي " فإن الدين هو الشعور اللانهائي و اختيار له، وما نعنيه باللانهائي هنا ،هو وحده تكامل المدرك،وهذه الوحدة لا تواجه الحواس

[*] كلمة "مقدس" مشتقة من اللاتينية ، sacer، لجعلها مقدسة بشكل أساسي ما يتم فصله عن العالم العادي.

2 حمادي المسعودي: ***متخيل النصوص المقدسة في التراث العربي الإسلامي***(تونس: دار المعرفة للنشر ،ط1 ،2007 م)، 35 .

Ḥamādī al-Mas'ūdī: Mutakhayyil al-Naṣūṣ al-Muqaddisah fī al-Turāth al-'Arabī al-Islāmī (Tūnas: Dār al-Mu'arifah li- Nashar, Ṭabā`ah-1, Maṭbū'ah 2007), 35.

[5] ريجيه كايوا، ***الإنسان والمقدس***،ترجمة،سميرة ريشا. (بيروت ،لبنان : مركز الدراسات الوحدة العربية، ،ط1،أغسطس،2010م)، 88.

Roger Caillois, al-Insān wa al-Muqaddas, Tarjuma Samīrah Raysha (Bayrūt, Lubnān: Markaz al-Dirāsāt al-Waḥdah al-'Arabiyyah, Ṭabā`ah-1, Aghusaṭus, Maṭbū'ah 2010), 88.

كموضوع ،و إنّما تنبني عن نفسها المشاعر الداخلية ،و عندما تنتقل هذه المشاعر إلى حيز التأملات، فإنّها تخلق في الذهن فكرة الله ".[6]

ولما نلاحظ مقامات التنزيل الإلهي لاستقراء بدئية المكان المقدس ،سنجد أنّه في مكة المكرمة نزلت شريعتان: شريعة النبي نوح من بعد الطوفان، ثم نسخ الله شريعة نوح بشريعة موسى النبي عبر التوراة المنزلة عليه في جبل الطور، فصار الطور مباركا. ثم تتحول صفة المباركة من الطور إلى مكة المكرمة،بناءا على القمة الأعلى التي وصلتها خلال الوحي المنزل على النبي محمد في غار حراء ، لتكتسي بعدها صفة المكانية المقدسة الدائمة، و التي جاورت بجنبها أثار النبي محمد من مسجد النبوة في المدينة إلى الحرم المكي الذي جاورها ، كما كان للتعيين الإبراهيمي دورا بارزا في تعيينه و تحيينه ،والإعلان عن البدئيات الأساسية التي ستتقوم فيها.[7]

كما نسب هذا المقدس المكان لنفسه، وقد جاء في قوله تعالى: **[وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ]**.[8]

وإشارة الله إلى أول مكان أوجده على الأرض ليستقر عليه التطهير و الطهارة، يبرز مدى تفوق العناية الإلهية في جعل النبوة و الرسالة خارجة إلى تطهير البشرية من الأدناس الشركيّة، التي حولت الكثير من البشرية أصناما تائهة ،فارقت إلى حد كبير البنية التوحيدية لله و للعالم وللمكان،ليكون لمقام البيت الذي يذكر فيه اسم الله بحقيقته و جوهره ،قمة الانطلاق في تلك العبادة التوحيدية ،التي أعلنها من خلال هذه الإشارة " إن أول بيت للناس للذي ببكة مباركا و

---

[6] عبد العزيز بن عثمان التويجري ،***المراكز والبناء الداخلي***،(القاهرة : دار الشروق،1419هـ، 1998م)، 24 .‘

‘Abd al-‘Azīz bin ‘Usmān al-Tajwayrī, al-Marakiz wa al-bina al-Dākhilī, (al-Qāhirah: Dār al-Sharūq, 1419, Maṭbū’ah 1998), 24.

[7] أحمد حجازي السقا،***الحج إلى الكعبة في التوراة و الزبور و الإنجيل و القرآن***، (مصر :مكتبة النافذة، ط1 ،2003م) ،20-24.

Aḥmad Ḥijāzī al-Siqā, al-Ḥaj Ila al-Ka‘bah fī al-Taurāt wa al-Zabur wa al-’Injīl wa al-Qurān, (Misr: Maktabah al-Nāfidhah, Ṭabā`ah-1, Maṭbū’ah 2003), 20-24.

[8] القرآن 2 :125.

Al-Qurān 2:125.

هدى للعالمين ،فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا و لله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ".[9]

وقد جاء في سفر الخروج:" في كل الأماكن التي فيها أصنع للاسمي ذكرا،آتي إليك و أباركك.[10]

وقد بينت الرحلة المعراجية أهمية المكان الذي اختاره المقدس وطوبه و رسمه لغايته التي تحققت، ليضمه للبيت الأول، والذي قال فيه:[**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ]**.[11]

ولذا فإن الحديث عن المكان المقدس و الجغرافيا التوزيعية لمساحاتها ،يفتح الحديث عن الحقيقة التي ساهمت في تشكيلها ، قبل أن تكون جاهزة ،بالشكل التي نراها اليوم ،ضمن مشهدها الساري نحو الاكتمال ،الأمر الذي يجعل الاهتمام بلغة القدسي و المعرفي، التكويني، و التاريخي الاستمراري الديمومي، يقتطع من التاريخ العام و التاريخ الخاص، زمنا كرنولوجيا، منساقا ،نحو إعادة النظر في الأصل، ومعرفة الوصل، و تفسير قيم الفصل، و تحليل روابط الإضافات، التي عبرت عنها تلك العلاقات المتشابكة في كل مرحلة من مراحل تكوينها و تشيدها ، حيث امتلكت ذلك " الفكر الديني في تصوره للبدايات من اللحظة التي خرجت عندها الألوهة من كمونها وتجلت في الزمان و المكان الدنيويين ،مبتدئة فعاليتها في الأزمنة الميثولوجية الأولى أزمة الخلق و التكوين ، عندما أطلقت الزمان و مدَّت

[9] القرآن 2 :96

Al-Qurān 2:96.

[10] سفر الخروج:24 .

Safr al-Khurūj: 24.

[11] القرآن 18 :1_2.

Al-Qurān 18:1-2.

المكان و توا شجت مع تاريخ الكون و تاريخ الإنسان ،هنا تتحول الألوهة من مفهوم نظري إلى مفهوم عملي تتجلى في شخصية ذات إرادة و قصد و فعل ".[12]

وضمن هذا المعطى، يتعين النظر في كيفيّات البقاء، التي أعطت لها من القوة و الرهبة ،ما تجعل الإنسانية لا تنفك أن تتناسى مقاصدها العالية، سواء كانت صريحة أو غير صريحة، خاصة في الظروف الحرجة التي استلزم أن تستمد الشعوب قوتها ومنعتها و نعمتها و نقمتها ،و التي يمكن النظر إليها ،من زاوية العناصر التالية:

_ **الأصل**: كصفة مرجعية، لا تنفصل عن ذلك الجوهر القدسي، في ذاته و لذاته ،و الذي ارتبط مباشرة إما بالوحي و عملياته، التي كان لها تكوين هذا المركز، و خلقه و جعله قطب الأقطاب ،من حيث الوجهة ،و المكان ،و الزمان،و الشعائر و يكون لهذه القدسية أيضًا، قمة الانتصار للمطلق، الذي رسم خطوط الشريعة الكونية و أركانها ،ورصد مقاصد الناس و أهدافهم ،صوب التنقل إلى هذه الأمكنة، و الأمل في بلوغ مراتب الرضي و الطهارة و الاستغفار ،يعني ذلك أنُّ الرسالة الموجهة للعرش و الكون، قد نجد تفاصيلها في هذا المكان المتجلي بقدسيته وديمومته ،والذي لا يرغب أن تنفصل عنه الجموع البشرية،ولا الطاقة الفكرية والروحية عن ملازماته.

_**الوصل**: فيما تعلق بمفهوم الحيوية لهذه الأماكن، التي تضل عبر أزمنتها لا يفارقها منطق الحركة، ومنح هذه الحركية قمة الأصول الكونية الأصلية،و المنبثقة من ذلك الروح الكلي الساعي إلى تهيئة العالم نحو التدفق السيال اتجاهه ، ليصبح المكان المقدس حينئذ، الحجر الأساس المنبثق من الطاقة الإيمانية ،التي لا تخرج عن خارطة الروح التشريعية و التبليغية و الرسالية ،التي استلهمها المكان من رسل و أنبياء و أقطاب، "كما يمكن القول بأن التجربة الدينية،عدم

[12] فراس السواح،الرحمان و الشيطان، (دمشق :منشورات علاء الدين، ،ط1 ،2000م) ،18 .

Farās al-Sawāḥ, al-Raḥmān wa al-Shayṭān, (Damishq: Manshūrāt ʻAlāʼ al-Dīn, Ṭabāʻah-1, Maṭbūʼah 2000), 18.

تجانس المكان ،تشكل تجربة بدئية،قابلة للمقارنة بتكوين العالم،إنه لا يتعلق بتعليم لاهوتي،و غنما بتجربة دينية،سابقة،على كل تفكير في الكون".[13]

ـ **الفصل**: قد آلت الأماكن المقدسة المتواجدة في المساحة الإسلامية ،إلى تمايزها عن سائر الأماكن الشعائرية في العالم ،سواء التي كانت في الهند، أو الصين ،أو حتى مركز الفاتيكانية بروما،وذلك نظرا لاستماتتها في التوحيد الإلهي، و تعظيم الشعائر من زاوية الانصياع و الطاعة له:

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (3).[14]

وبالتالي فإن الهيبة التي تترتب عنها ممارسة الشرائع الإلهية، ترتب عنها مباشرة التمسك بالمكان و التمني الدائم على مساكنته ، حيث أن الحياة المقدسة لا تخرج بدورها عن ذلك الحيز الذي له قوام ،و الذي لا ينفصل عن مبدأ القيمة، تلك القيمة التي " ليست وجودا بذاتها بل تشكل ميدانا مستقلا عن الوجود غير أن النظام يلازم الوجود فتبدو في شيء تفضيلي فتؤلف أحكاما تتطلع إلى ما نصبو إليه ،إذن لن يظهر هذا العالم الموضوعي بهذا التنظيم المحكم إلا عندما تصبح عليه أحكاما نعمل على تحديد غايات تربطه و ترسم وجوده الحقيقي الذي يرتبط بالقيمة ،و هذا بعني أن القيمة ذاتها وجودا لكنها شرط كل و جود".[15]

---

[13]) مرسيا إلياد،المقدس و المدنس، 25.

Marcea Eliade: al-Muqadas wa al-Mudanas, 25.

[14]) القرآن 110: 3-1 .

Al-Qurān 110:1-3.

[15]) نورة بوحناش،فلسفة القيم عند برغسون،(الجزائر : منشورات الاختلاف،ط1 ،1413هـ/2010م)، 37.

Nūrah Būḥnāsh, Falsafah al-Qiyam ‘Ind Bergeson, (al-Jazā’ir: Manshūrāt al-Ikhtilāf, Ṭabā`ah-1, Maṭbū’ah 2010), 37.

وهذا ما أضفى على الأماكن صفة التفرد و التمايز، على حسب حجم الرسالة المتحققة في بعدها الشمولي، و التي لا تخرج عن السعي في إيجاد رافد قومي، يجمع الوحدة المرجعية التي اجتمعت عنها الأماكن المقدسة الأصلية ،و الأماكن التي تلتها كآثار لاحقة لهذه الأماكن كون " الكثير من الأمكنة ارتبطت قداستها بأشخاص معينين مثلوا رموزا لشرائع اجتماعية مخصوصة، و فرق دينية معروفة (...)و قد تألف حول أولئك الأشخاص التاريخيين أنصارا ،و اتخذوا من الأماكن التي دفنوا فيها فضاءات مقدسة، صاروا يزورونها دوريا ،و يحتفلون بحدثي الميلاد و الوفاة وصارت أماكن مثل النجف الأشراف، و كربلاء ،و قم المقدسة قبلة الآلاف من الناس يزورونها في مواكب احتفالية".[16]

_ **الإضافة:** يعد الحديث عن هذا المنطق في الإضافة ،تخريجا مسكونيا لا ينفصل عن التركيبة الثقافية التي تخضع لها ، من ثم خرجت هذه المراكز لحظة تكونها من خصوصيتها إلى كونيتها العالمية، حيث أكسبها هذا الخروج أبعادا واضحة، ضمن لها الركون إلى منطق النفوذ ،و التوسع ،و التحرير، وانبثقت من خلال هذا المنطق صفتين رئيسيتين:

- **صفة الولاء:** و التي تعد العامل الأساسي لبقائها ،من حيث تعظيم الشعائر التطهيرية و الاستغفارية لله الواحد. وقد اختلفت بحسب الديانة ومرجعيته الخاصة المقدسة عندما يتعلق الأمر بالحصول على مكانة مقدسة معينة في الخيال الجماعي للمؤمنين وكذلك بين المجتمع الدولي الأوسع ، تميل الدول صراحة إلى التذرع بمركزيتها وتشابكها التاريخي مع واحد أو أكثر من التقاليد الدينية (أو مع الدين على نطاق أوسع). على سبيل المثال ، تبنى النظام الملكي السعودي لقب "خادم الحرمين الشريفين" ، في إشارة إلى حقيقة أن أقدس موقعين للإسلام يقعان داخل حدود البلاد. تقدم دولة إسرائيل نفسها صراحة على أنها دولة الشعب

[16] حمادي المسعودي،متخيل النصوص ا لمقدسة في التراث العربي الإسلامي ،37.
Ḥamādī al-Mas’ūdī: Mutakhayyal al-Naṣūṣ al-Muqaddasah fī al-Turāth al-’Arabī al-‘Islāmī, 37.

اليهودي والنبوءة من خلال استحضار مكانتها على أنها "أرض الميعاد" ، إلى جانب تعزيز صورتها على أنها "الأرض المقدسة" للأديان الإبراهيمية[17].

- **صفة الاستمرارية**:من حيث أنها تشكل حقبة لسلف صالح خاص، ولمقدس فائقٍ من حيث تحيينه البدئي، الذي أضفى عليها لغة متمايزة في البقاء و الحضور.
- **صفة مساحيّة**: اقتضى من هذا الجزء الأكبر من المساحات المكانية المقدسة ، أن تمد العالم بأواصر لا يمكن أن تنفصل عنه التجارب الإنسانية ،كونها مهبطا للوحي و الرسالات ،ومنطقا متتاليا للتجارب النبوية و الشخصيات العملاقة الناضجة، التي آتت كلاحقة مضافة إلى هذا الميراث المساحي، بالتالي استوجب النظر في الحدود الجغرافية، استطرادا إلى ذلك الرجوع للأثر المبني على " أفكار ليست مجرد صورا أو مرايا، بقدر ما هي استراتيجيات معرفية لقراءة العالم ،و التعاطي معه ".[18]

وانطلاقا من هذه الأهمية تبرز البنية العالمية لموضعها، من حيث كونها لا تخرج عن:

المبحث الثاني_كفلسفة في السلوك و القيم:

يعتبر الدين، أهم مقوم أساسي في بناء الشخصية الإنسانية و تكوينها ، حيث يكون لموضعة السلوك و الأخلاق و القيم قمة الانتصار لذلك المطلق اللانهائي، الذي كون الشعور الديني غير المستقل ،عن تلك الحيازة الروحية للمراكز المقدسة ،ودورها في تحديد الإيمان، و البحث عن إمكانات في التواصل مع العالم المفارق ،الذي أوجد في صيغة حسية مادية ،ذلك المكان المتوج معنويا بتلك الصبغة القيمية، التي لا تخرج عن فلسفة جد عميقة في الأخلاق ، لا

[17] Gregorio Bettiza, *States, Religions, And Power: Highlighting The Role Of Sacred Capital In World Politics*, (University of Exeter, Berkley Center for Religion, Peace, and World Affairs, March 2020), P. 03.

[18]) علي حرب،نحو منطق تحويلي(لبنان،بيروت: المركز الثقافي العربي ،ط1 ،1998م)،81.

ʻAli Ḥarb, Naḥwa Manṭaq Taḥwīlī (Bairūt: Lubnān: al-Markaz al-Thaqāfī al-ʻArabī, Ṭabāʻah-1, Maṭbūʼah 1998), 81.

تنفصل عن الكائنات الإنسانية العظمى الذين هم " أدوات الوثبة الحيوية أوجدتهم لتحقيق التطور الروحاني للإنسانية ، ويكون ذلك بخلق مجتمع مفتوح يقوم على أخلاق ديناميكية حركية كلها نزوع نحو المستقبل (...)فلم يعد ذلك الأنا منساقا بل منجذبا اتجاه نداء الإنسانية جمعاء ".[19]

لذا يطرح حقل المعنويات، تلك الصلات التي جمعت بين الأديان الثلاثة، فيما يخص اتفاقها على الفكرة التي أدت إلى تشييد الأماكن المقدسة، حيث أن هذه الفكرة لا تقف فقط عند مبدأ التقديس،و إنما تتوجه طوعا ،نحو هذا المكان، للاستغفار و الإقرار بالتوبة.

في هذه الأمكنة تتطور الحالة المعنوية ، فتؤدي إلى سجن الذات البشرية بداخلها وتلين خاطرها نحو الفوق المتعالي، الذي بدوره سيمنح لهذه الذات استغفارا ،و استرزاقا ،و نصرة ،و تحريرا .

هنالك ،و في تلك الأمكنة، تضعف النفس البشرية، وتتباكى الأعين،، و يتوالى الندم و الخوف ويقوى الرجاء، وتتجدد الخشية ،خشية من تلك القوة الإلهية العظمى، التي يسعها أن تستجيب في ذاك المكان المقدس، إلى ما يمكن أن يطلب منها ، لأن "فكرة التوجه إلى الله بالتوجه و طلب المغفرة، هي التي أبقت الأماكن المقدسة جديدة متجددة أمام كل جديد ،و هي التي أنشأت تلك الأماكن أول أمرها، و هي الأساس لنشأة أقدم هذه الأماكن و أكثرها قدسية ".[20]

[19]) نورة بوحناش،فلسفة القيم عند برغسون، 261 .

Nūrah Būḥnāsh, Falsafah al-Qiyam ‘Ind Bergeson, 261.

[20]) محمد حسين هيكل،***الإمبراطورية و الأماكن المقدسة*** (القاهرة :دار الهلال، ،(د.ط)،(د.ت)، 117.

Muḥammad Ḥusain Haykal, al-Imbrāṭuriyyah wa al-’Amākin al-Muqaddasah (al-Qāhirah: Dār al-Hilāl), 117.

و إذا كانت هذه الصور تستدعي أكثر من تحليل ،فإن ماهية الموجود ذاته تفتح الحديث عن تلك الظروف ،و الحالات النفسية و المعنوية التي ساهمت في إيجاده ، فقد أوجدت التجربة الإسماعيلية، مكة وضواحيها وارتسمت المساحة القدسية حينها ،من سؤال رباني كان له ما كان، من طرف الذي أوجد هذا الكائن و المكان.

كما ارتسمت المساحة القدسية لكربلاء بثورة الإمام الحسين ، ليتشكل حولها ارتقاء بذلك المكان، الذي لم يكن له مكان، حين فرض العقل السياسي السائد آنذاك بطشه واستبداده ،وما دلل عن صفة ما تقدس، تلك الرؤية التي تعاطفت مع الثورة الحسينية التي كونت له قواما في الأثر، فائقا في المعنى و الغاية الأخلاقية التي لم تنفصل عن الاقتداء اللامحدود المجاور لجميع المساحات بصفتها الأنطولوجية.

تم اختلاق المقدس الشيعي

ونفس الشيء بالنسبة للمقدس الرضوي في مشهد ،وحيازته الفائقة في إيران على مساحة كبيرة في الشهود و الحضور،وكذلك الشيء نفسه مع المساحة القدسية لفاطمة المعصومة ،و غيرها .

وبالتالي فإن روح الشريعة أضفت مسار تغيريا و تنويريا و تحريريا لم ينفصل عن الخلاص البشري وسره، والتي أحكمت المكان المقدس برباط المقدس ذاته، لكي لا يقترب منه أي مدنس، أو أن يجاوره في المساحة و القوام.

المبحث الثالث_الأماكن المقدسة ومقاومة الإمبراطورية

لم تكن الأماكن المقدسة بصفة واحدة ،أو لدين واحد، كأن نقول، هذا المكان للظاهرة الموسوية، و التالي للظاهرة للعيسوية، و التالي للظاهرة المحمدية ،وإنما كلها تدخل في سياق جامع لآثار المقدس على المساحات التي فَرَدَها المطلق الرباني، مستنسخا من تاريخ رسائلهم في الكثير من الأحيان ،الأهداف و الوسائل ، كون مصدر ورودها

واحد، من حيث لحظة الانبثاق، و بداية التشكل، سواء ضد استهتار النفس،أو ضد استكبار المتجبرين و المستكبرين ،ليشهد التاريخ الكوني على نماذج متعددة لهذه المواقف.

حينما نقف بتأمل صوب هذه الأحداث وأمكنة وقوعها ،نستقرأ صفة خاصة لماهية الموقع ذاته الذي تموقع فيه الحدث ،و الذي اشتمل على صفة التقديس و التبرك و التطهير ،حينها نستذكر و بلا شك ، ظروف التكوين و التبديل ،و الغاية المنبثقة من وراء إعادة تكونه ووقوعه في المكان المقدس المقابل.

كما شكلت هذه الأماكن مقاومة فرادة ، يطالب فيها بالتجديد و الثورة و التغيير، الذي يبعث الأمل في نفوس المستضعفين على الأرض، و ذلك إيمانا بالعهد لتلك القوة التي أوجدت المكان ، أو لذلك الشخص الطاهر، الذي تبوأ المكان، وكان لأجله ولأجل ذلك المقدس الذي أعطى له القوام ، من ثم لا ننكر الدور التبليغي و الرسالي الذي تلعبه الأماكن المقدسة في أكثر من دور ،ذلك أنها قادرة على :

_تحقيق وحدة للتجميع البشري ، كإرادة عازمة على تقديم الولاء المطلق لها، وهي قادرة أيضا على تجديده في كل لحظة، و كل مناسبة ،كاستذكار ميلاد، أو استذكار استشهاد، أو انتصار لثورة وتحرير، بالتالي يتوسع مفهوم الولاء، ليتخذ طرحا جديدا نحو المشروعية الدينية القومية ،التي ستعمل على زحزحة الحدود، وتقليص الجغرافيات نحو المسار المقدس واتخاذه وطنا.

_تحقيق الانسجام و الوحدة المساحية و المعنوية بين الشعوب المترامية في أطراف أعماق هذا الحيز المقدس ،يفتح الباب اتجاه الاتحاد و التضامن و التكافل، خاصة في ظل ما تطرحه التحديات الراهنة، و ما تنبأ به التحديات المستقبلية .

ـ إسهامها في إنعاش المفهوم الثقافي للثقافة الدينية ، كونها لا تنفصل عن التجارب الشخصية للناس، من حيث النظرة الجامعة لها و ومن حيث البناء العقلي التكويني لمظاهرها الروحانية، و التي تجلت في قوانين الزيارات و المعاملات ،ونسك العبادات، التي نجدها في كل مكان مقدس بثوابتها و متغيراتها الخاصة، والتي ستساهم بأكثر فعالية في إعادة النظر في مفهوم التجميع ذاته.

بالإضافة إلى أدوار متعددة شغلتها الأمكنة المقدسة وهي:

الدور السياسي:

في الحديث عن الدور السياسي للأماكن المقدسة نستحضر التاريخ الإسلامي ،ودور العثمانيين في تطويقها وحمايتها من الاستعمار الأجنبي والتدخل الصفوي ،فقد أدى الصراع بين العثمانيين والصفويين من جهة والعثمانيين والأوربيين من جهة إلى ضرورة أن تحرر الأماكن المقدسة الإسلامية من المد الفارسي والهجوم الصليبي الذي جعل من العثمانيين أن يشدو النفير في أن تكون الحجاز ولاية عثمانية تضم أهم الأماكن المقدسة يجتمع في كل عام حشود كبيرة من كل فج عميق ليشهدوا منافع الحج ومنافعهم الخاصة [21].

أشار في ذلك محمد صادق محمد الكرباسي، إلى أن المؤرخون قد سجلوا بكل عناية ما كانت تلعبه الأماكن المقدسة في العراق من دور سياسي باهر ، أدى في الكثير من الأحيان، إلى قلب موازين القوة بين القوى المحتلة و الشعب، من جهة ،و من جهة أخرى، بين مصالح القوى الأجنبية المتضاربة فيما بينها،حيث أن المؤرخون أوردوا أن " الحكومة العثمانية في حربها مع الدولة البريطانية استخدمت سيلا للدعاية ضدهم بأمل كسر شوكتهم ووقف تقدم الجيش

[21] عبد العزيز محمد الشناوي،***من كتاب الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها***، (القاهرة:مكتبة الانجلو مصرية،1980،ج1)،66

ʻAbdul al-ʻAzīz Muḥammad al-Shanāwī, Min Kitāb al-Dawlah al-ʻUthmāniyyah Dawlah ʼIslāmiyyah Muftara ʻAlayha, (al-Qāhira: Maktabah al-Anjalu Miṣriyyah, Jild-1, 1980), 66.

البريطاني (...)ومن تلك السبل تشويه شخصية و تصرفات الجيش البريطاني (...)في أن الإنجليز يأتون بطبيبات لتلقين المريض المسلم الديانة المسيحية ،و أنهم يضربون الناقوس ريل شديدا وقت الآذان ، و حينما ذكر الناس للحاكم العسكري أجابهم انه قريبا سندق هذا الناقوس على منابر كربلاء و النجف وقبر عبد القادر الجيلاني".[22]

كما قامت سلطة الاحتلال الانجليزي بالعمل المعاكس عبر جريدة صوت العرب التي يكتب فيها البريطانيون ،و قد أشاروا إلى أن " الأتراك رموا قنابلهم على العتبة المطهرة بمرقد الإمام الحسين وقذفوا مثلها على الساعة الكبيرة في العتبة العباسية ،مظهرين العثمانيين في صورة تعيسة وشريرة وعلى أنهم لم يخدموا يوما أو ساعة العتبات المقدسة.[23]

ولما شنت الحرب الخليج الأخيرة على العراق ،تصاعدت اللهجة في الاتهام كل من جورج بوش 2 وصدام حسين في استفزاز كل منهما للآخر، وقد أكد بوش2 أن بلاده لن تتعرض للعتبات المقدسة بأي قصف، وفي حرب مضادة اتهم صدام حسين بوش بقصفه لكل العتبات الموجودة وعدم مراعاة حرمتها و مكانتها في نفوس الشعب العراقي.[24]

ويظهر هذا التصرف المزدوج، مدى الأهمية التي تلعبها هذه الأماكن ،في السياسة الحاكمة وتغييرها لرواية كل من يمتلكها ،كورقة مربحة اتجاه القناعة التي يكافح لأجلها.

---

[22]) محمد صادق الكرباس، ***دور المراقد في حياة الشعوب***،إعداد عبد الحسين الصالحي،(بيروت ،لبنان: بيت العلم للنابهين ،ط1، 1424هـ/2004م)، 46

Muḥammad Ṣādiq al-Karbās, Dawr al-Marāqid fī Ḥayāt al-Sha‘ūb, ’A‘adād ‘Abd al-Ḥusain al-Ṣāliḥī, (Bayrūt: Lubnān, Bait al-‘Ilm linābhayn, Ṭabā`ah-1, Maṭbū’ah 2004), 46.

[23]) المرجع نفسه،ص،47،46 .

Ibid, 46-47.

[24]) المرجع نفسه،ص،50.

Ibid, 50.

كما شكلت ثورة العشرين، في كربلاء تحديا أكبر، في مواجهة الحاكم البريطاني "ويلسن أرنولد" و التي قال فيها، أن رجال الدين في كربلاء، و النجف ،و الكاظمية ،معادين بصرامة للحكومة الدنيوية من أي نوع كانت ، و أن نجل المجتهد الأكبر في كربلاء، قد بذل جهودا غير يسيرة بإثارة العالم ضد الانتداب ".[25]

وأشار ويلسن مرة أخرى إلى أن " العلامة الحائري أقنع القبائل بأن الثورة حرب مقدسة، و ترتب عن ذلك إرسال دعوة إلى كافة مناطق العراق قصد تحضيرهم للثورة." [26]

ولطالما كان الصراع بين العراق و إيران على أشده ،لكن لم يمتنع الإيرانيين من تخطي الحدود اتجاه النجف و كربلاء ،و لطالما كان الصراع بين العراق و الكويت ، لكن الكويتيين تجاوزوا الصراع، وتنقلوا صوب هذه المقدسات ، ولطالما كان الصراع بين السعودية و الدول العربية و الإسلامية ،لكن لم تسقط شعوب هذه الدول الركن الخامس في الإسلام و أداء مناسك الحج و العمرة في أوقاتها ،ولطالما ظلت فلسطين في أيدي الاحتلال الإسرائيلي، لكن المسجد الأقصى وملتقى الأنبياء و الرسل، ومسقط رأس سيدنا المسيح، لم تتأخر عنه الشعوب العربية والإسلامية لحظة في مساندته ودعم مواطنيه ماديا ،معنويا.

_ من حيث أنها مرجع للذاكرة و التراث:

كما دخلت هذه الأماكن في منظومة التراث العالمي،وكان للغرب أن ركز اهتمامه عل مراكزه المقدسة أيضا،كونها تشكل بنية أساسية في الوعي الأميركي،وقد أعلن في السنوات الأخيرة إعلان التأميم (nationalization)لكل

[25])سلمان هادي آل طعمة،***كربلاء في ثورة العشرين***، (بيروت،لبنان :دار بيسان للنشر و التوزيع و الإعلام، ،ط1،آذار،2000م) ،38.

Salmān Hādī Āal Ṭa‘amah, Karbala’fī Thaurah al-‘Ishrīn, (Beirūt: Lubnān, Dār Baysān li Nashr wa al-Tawzī‘ wa al-’Aylām, Ṭabā`ah-1, Maṭbū’ah 2000), 38.

[26]) المرجع نفسه،ص،38 .

Ibid, 38.

النصب التذكارية و ألأضرحة و المزارات،و قد شكل هذا الأمر إعادة قراءة في هذه الأماكن من زاوية القداسة الجغرافية،التي تطرح أطرا في التأويلية الإيديولوجية و الإبستيمولوجية،كمفاعيل للقوة والتواجد و المركزية.وفي هذا الأمر يقول جيمس الصيداوي :" قد أثر تأثيرا التراث تأثيرا واضحا على المشهد الأميركي،في النهاية تم تحديد كل المواقع التي لها أهمية،ولم يقتصر ذلك على الأحداث الهامة الفاصلة،بل شكل أيضا الأماكن المرتبطة بحياة الأمريكيين العظام و إنجازاتهم،وينظر الناس اليوم إلى الكثير من المواقع ساحات المعارك ،و الأضرحة،و المزارات على أنها أمر مسلم به،في حين أن اختيارها للاحتفاء بها لم يكن أمرا حتميا ومتوقعا على الإطلاق،وكان الكثير من شواهد هذه المواقع المتربعة على (طريق الحرية) ،(نصباً تذكارية وطنية)،ورموزاً للقوة الأميركية و مصيرها واضح هو تأميم للذاكرة."[27]

وبالتالي فإن التراث المقدس، قد دخل التاريخ الكينونة لهذا العالم ،و الذي كان الممهد لعدة تواريخ و تجارب قدسية،عبرت عن وعي كامل لشعوب المناطق المتواجدة فيها ،أو التي تشكل تبعية إليها ، من حيث العقيدة والانتماء، لذا فالعملية الإبستمولوجية تقر بضرورة الحفاظ على هذا التراث كونه يشكل تاريخ الجماعة و بنيتها ،ورمزا انطولوجيا للتواجد و حفظ للبقاء،كما أنها تشكل أنساقا خاصة و متميزة في رصد الفكرة التي تعاصر الحاضر،في تبك المناطق الماضوية التي عرفت الكينونة والتواجد الأزلي.

[27]) جيمس الصيداوي،***جغرافيا ما بعد الاستعمار***،ترجمة: أسعد حليم،مراجعة: عدنان جرجس، (الكويت: مجلة الثقافة العالمية،المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ،سبتمبر،2001م،العدد،108) ،53 .

James al-Ṣaydāwī, Jughrāfiyya ma Ba’ad al-Isti‘mār, Tarjuma‘h: ’Asad Ḥalīm, Murājay‘ah: ‘Aadnān Jarjis, (al-Kuwait: Majallah al-Thaqāfah al-‘Aālamiyyah, al-Majlas al-Waṭnī li Thaqāfah wa al-Fanūn wa al-Ādāb, Sebtambar, Maṭbū’ah 2001, al-‘Adad 108), 53.

بالتالي ترد هذه الأماكن في مناطق الذاكرة الخصوصية و العالمية،باعتبارها مناطق خلاقة مفتوحة على تلك " الذاكرة الكاملة على نداء حالة حاضرة بحركتين متزامنتين ،إحداهما حركة انتقال تتجه بكاملها إلى أمام التجربة ،ثم حركة و دوران أمام حالها ،حيث تتجه إلى وضع اللحظة الراهنة."[28]

حيث يقتضي النظر في هذه المسألة المحافظة على وعي كامل للأمة،خاصة في ظل النزاع القائم حول تدمير الكثير من المزارات و الأضرحة من طرف الأيديولوجية التكفيرية ،التي وصلت بنهجها إلى طريق مسدود،سيؤجج فيما بعد حدة الصراع بين الجغرافيات و المناطق،إذا لم تكن حماية متكاملة لهذا الإرث الأنطولوجي المقدس.

هذا التجسيد العيني، لواقع السياسة المعرفية للأماكن المقدسة، يطرح مساحة متسعة و شاسعة متقولبة في الذاكرة الكونية، التي فعّلت كل المستويات الدينيّة، و الاجتماعيّة، و السياسيّة ومعرفية،حيث عملت في الوقت نفسه ،على رفع الإنسان ضمن صعيد خاص، متمو ضعا في حركة خلاقة ،مع حركة الخلق، و الديمومة، و الصيرورة،من ثم فإن النظر الإبستيمولوجي إلي هذه الأماكن ،هو في حد ذاتها يحمل أكثر من معنى، و يتجه إلى أكثر من تحدي ،في ظل الرهانات التي تطرحها خطابات الخصوصية و العالمية،والصراع الحضاري لثقافات الشعوب.

وقد ساهمت الرؤية التوحيدية لهذه الأماكن مساهمة كبيرة في بقائها واستمرارها،كونه الذاكرة الدائمة و الأبدية ،الحاضرة حضورا أبدي ،غير منقطع، في العبادات و الصلوات و المعاملات،كما فتح الدين التوحيدي في هذه الأماكن المجال الأوسع في اليقظة الفردية ،و لنمو واعي لتلك الأنا التي تتربصها الحوادث و المتغيرات،من حيث أن هذه الذات جوهر التمركز و الحضور في كل المعمورة،

[28])جيل دولوز،**البرغســـــــونية**،ترجمة:أسامة الحاج، (بيروت،لبنان :المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ،ط1 ،1417هـ/1997) ،69 .

Jayl Dawlūz, al-Barghasawniyyah, Tarjumah: ’Usāmah al-Ḥāj, Bayrūt: Lubnān: al-Mu’asasah al-Jām‘iyyah li Darāsāt wa al-Nashr wa al-Tawzī‘, Ṭabā`ah-1, Maṭbū’ah1997), 69.

كما تشير النظرة المعنوية، على وجه التحديد ،لهذه الأماكن ،أنها أعطت تحقيقا قيميّا في مجال الأتي:

- ✓ أيقضت الشعور بالمسؤولية الفردية و الجماعية لتلك العلاقات المرتبطة بالمصالح الاجتماعية والدينية.
- ✓ أيقظت الوعي التاريخي،إذ جعلت مختلف الحوادث الكونية،و البشرية التي تجلت فيها الماهية القدسية التوحيدية،سمة مدرجة ضمن النتّاج الثقافي الخاص بمفهوم المناطق و الأقاليم المندرجة ضمنها.
- ✓ ساهمت في تكوين تعريف روحاني خاص للجغرافيا و المساحة، لا ينفصل عن مفهوم الأثر والانتشارلتلك النزعة الإيمانية المنبثقة من هذه الأمكنة،التي تعانقت مع عالمي: عالم الشهتدة وعالم الغيب.

وقد تفاعلت مع الصيرورة الحياتية للمجتمعات، واستغرقت مفهومها المركزي من خلال:

_ الاندماج الحيوي، داخل الزمان السيكولوجي للجماعات الوافدة إليها.

_الصدى الديمومة المنبثق من مفاهيم، التطهير و، الاستغفار،و الرضا،و الرحمة.

_في التعبيرات الروحانية الظاهرة في كل" تأويل للعالم، برؤية باطنية، ليس له معنى إلا إذا اتخذ هذا التأويل إلى كل ما هو موجود ".[29]

[29]) بيير مونتيبلو: ***نيتشه و إرادة القوة***،ترجمة: جمال مفرج، بيروت ،الجزائر: الدار العربة للعلوم ناشرون، ،دار الاختلاف ،ط1، 1431هـ/2010م) .67

Pierre Montebello: Nietzsche wa ’Irādah al-Quwwah, Tarjumah: Jamāl Mufraj, Bayrūt, al-Jazā‘ir: al-Dār al-‘Arbah lil ‘Ulūm Nāshirūn, Dār al-Ikhtilāf, Ṭabā`ah-1, Maṭbū’ah 2010), 67.

من ثم فإنها تعد في هذه الإمكانات " محاولة لجعل العالم مألوفا قريباً من قلب الإنسان وعقله ،عن طريق إسباغ المعقولية عليه هربا من اللامعقول الذي يتبدى في مظاهره ،و خوفا من الغموض الذي يكشف أسراره ".[30]

بالتالي فإنّ لها من القوة والمناعة، ما يرسم خطوطها الأزلية، وهي ترصد لحضرتها و مريديها ،منابع الاستغفار،و الهداية،التي آثرت من مواقع تواجدها،على كل المناطق في العالم ما جعلها ترسم خارطة متجددة في العلاقات و الارتباطات،التي يورد فيها المعنى الفعال للتفرد و التميز،من حيث أنها نقطة ارتكاز لكل العام،وبنية متعالية،على كل الأدناس،و لغة جامعة لكل المجتمعات،ومناعة فائقة لكل المساومات.

ولا مناط في أن تخلد الذكرى،فتجعل من ذكراها ،لغة لا متناهية في الزمان، و المكان و الوعي،تجعل عقل العالم و كل العالم،ينفتح أمامها، ويصر المضيء إليها،ليكتسي منها روحا طاهرا نقيا، شكل إضافة من إضافات التوحد الإنساني ، الذي عبرت عنه إنسانية الإسلام ذاتها.

وبناءا على هذه الخصائص والتأثيرات،تضع الأماكن المقدسة الحدود الفاصلة ،لتلك العلاقات المنسوجة بين الزمان ،و المكان ،و الاندفاع الحيوي إليها،بشكل في حد ذاتها تفوقها التاريخي ،و المركزي، على سائر التواريخ، ما يقتضي إعادة النظر في كيفية تحقيق استجماع عام ،من طرف الباحثين و المتخصصين، في

[30])شمس الدين الكيلاني،***من العود الأبدي إلى الوعي التاريخي***، (بيروت،لبنان :دار الكنوز الأدبية، ،ط1 ،1998م) ،129.

Shams al-Dīn al-Kaylānī, Min al-ʻAūd al-ʼAbdī ʼAbdī ʼIla al-Waʻī al-Tārīkhī, (Ṭabāʻah-1, Maṭbūʼah: Dār al-Kanūz al-ʼAdabiyyah, Ṭabāʻah-1, Maṭbūʼah 1998), 129.

البحث على إعادة الاعتبار إلى موقعها الإقليمي،خاصة في ظل الصراع ،الذي تتحدث عنه جغرافيا ما بعد الاستعمار.

النهضة العلمية:

وقد وضحها التاريخ ، و شهد عليها في قرون خلت ،و التي ابتدأت طوعا و حرفا وقانونا في مكة المكرمة كونه البيت المقدس الأول الذي باركته كلمة (**اقرأ**) لاعتبارها بادئة لنهضة علمية شاسعة و عميقة ،لتُنقل آثار هذه المعادلة إلى المناطق المجاورة، و إلى كل العالم بصفتها الإنسانية و الشمولية ،ليصبح ذلك المكان مركزا لكل العالم و الكون، باعتبار (**اقرأ**) قمة الثقافة و العلم،ورمزا للتحرير، وثورة في التنوير .

كما أن الأرض المباركة فلسطين، وطن المسجد الأقصى، ومسرى الأنبياء و الرسل لم تستثنى من هذه النهضة العلمية التي أتى بها النبي موسى، والنبي عيسى، ثم دشنها الحدث المعراجي مع النبي محمد الخاتم، الذي أعطى لهذا المكان دلالة مستمرة للمكان الأول في رسالته و مهمته، و المتأمل في البني الاجتماعية، والتاريخية لهذه الأماكن، يكتشف مدى الفضاء الذي يشغله مفهوم التطهير أو الطهارة، والتي انبثق منها ذلك الحدث بكل محتوياته ،حين قال لهذا المكان ،كن فكان،واستوجب على هذا المكان عينه، أن يجيب فيما بعد عن الصياغة التي سيكون عليه ،فيما يجب أن يكون عليه مستقبلا.

كما حافظت هذه الأمكنة المقدسة ،على مكانتها البدئية، فصدّرت آثارها إلى آخر ما يمكن أن يكون عليه فعلها البدئي، ، مما زاد في تعميق الشعور الوطني و القومي، فتشكلت المرجعيات، وتنوعت العلوم و المعارف ببركة البادئة (**اقرأ**)، ولتمتد هذه الرحلة الابستميولوجية أطراف الهند و الصين ، ولتعلن هذه المراكز أن قِوامها لن يستنفد، مادامت الحكمة الكونية بحاجة لهذه الأمكنة،و حتى يعرف الكون في مستقره ،استقراره و بقائه ،وعظمته و إجلاله.

خاتمة:

من خلال هذا التحليل وصلنا إلى النتائج التالية :

_أن المراكز المقدسة مفهوما مفتوحا، له من العناية و الاتساع ما يجعل الحديث عن الوجه الحضاري و الرسالي يدخل في تنافس ما بين الأماكن الدينية الأخرى في العالم، لجلب لغة المركز و التمركز و هذا ما يحيل إليه القرن القادم، لأن أهمية الأماكن لا تخرج من بنية المكان الأصلية ، المكان الذي باركه الله تحييننا لظهور المقدس ، أوفي تجليه لمجيء الشخص الكاريزمي ،الذي منح لهذا المكان تطويباً خاصا لا يخرج عن كنه الرسالة الإلهية في العالم .

_انوجاد هذه الأمكنة على مسافة شاسعة ،من مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى،ومن العراق و الشام إلى إيران ،كون التموقع للأمكنة المقدسة لا تخرج عن نطاق الخطة العامة للكون ،و وفاءا لتلك الأخلاقية التي تسعى لها الإنسانية في تحقيقها التأييد و الإخلاص لذاك المقدس ، أضف إلى ذلك أن الناحية السلوكية للإنسان ،التي تحددت بمفهوم القيمة، الذي أضفاه المكان ذاته ، باعتبار المكان لغة في الأداء و التنمية و الإنماء و الإيمان.

_كما أن الحديث عن الطبيعة المساحية التي يتموقع فيها المكان المقدس، لا تخرج عن نطاق الوجه الواحد للوظيفة التاريخية التي تستوجبها نهضة الشعوب و مقاومتها للأي نزعة إحتلالية،ما دفع بها أن تكون في أعلى درجة حاسمة ،في حسم العديد من الرهانات التي تفرضها الحرب الكونية، على رموز الإسلام و المسلمين و معالمه الخاصة.

من خلال هذا المستخلص نصل إلى توصيات وهي:

- إعادة النظر المعنوي في وجاهة المراكز المقدسة واستقراء فلسفة زمانها ومكانها.

- قراء الواقع التاريخي والسياسي والديني للأمكنة المقدسة لا تنفصل عن الفلسفة الأولى لتعيين المكان،كما لا تنفصل عن المطالب التاريخية بامتلاكه،لذلك وجب تحيين خطاب وسردية المشروعية ،خاصة وأن النص الديني في الإسلام أقر بأحقيته لهذه الأماكن ، بالرغم من المطالبات بها في المذهبيات الدينية والسياسية الأخرى.

Bibliography

1. ‘Abd al-‘Azīz bin ‘Usmān al-Tajwayrī, al-Marakiz wa al-bina’ al-Dākhilī, (al-Qāhirah: Dār al-Sharūq, 1419, Maṭbū’ah 1998).
2. ‘Abdul al-‘Azīz Muḥammad al-Shanāwī, Min Kitāb al-Dawlah al-‘Uthmāniyyah Dawlah ’Islāmiyyah Muftara ‘Alayha, (al-Qāhira: Maktabah al-Anjalu Miṣriyyah, Jild-1, 1980).
3. Aḥmad Ḥijāzī al-Siqā, al-Ḥaj ’Ila al-Ka‘bah fī al-Taurāt wa al-Zabur wa al-’Injīl wa al-Qurān, (Misr: Maktabah al-Nāfidhah, Ṭabā`ah-1, Maṭbū’ah 2003).
4. ‘Ali Ḥarb, Naḥwa Manṭaq Taḥwīlī (Bayrūt: Lubnān: al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī, Ṭabā`ah-1, Maṭbū’ah 1998).
5. Farās al-Sawāḥ, al-Raḥmān wa al-Shayṭān, (Damishq: Manshūrāt ‘Alā’ al-Dīn, Ṭabā`ah-1, Maṭbū’ah 2000).
6. Gilles Deleuze, al-Barghasawniyyah, Tarjumah: ’Usāmah al-Ḥāj, Bayrūt: Lubnān: al-Mu’asasah al-Jām‘iyyah li Darāsāt wa al-Nashr wa al-Tawzī‘, Ṭabā`ah-1, Maṭbū’ah1997).
7. Gregorio Bettiza, *States, Religions, And Power: Highlighting The Role Of Sacred Capital In World Politics*, (University of Exeter, Berkley Center for Religion, Peace, and World Affairs, March 2020).
8. Ḥamādī al-Mas’ūdī: Mutakhayyall al-Naṣūṣ al-Muqaddasah fī al-Turāth al-’Arabī al-‘Islāmī (Tūnas: Dār al-Mu‘arifah li- Nashar, Ṭabā`ah-1, Maṭbū’ah 2007).
9. James al-Ṣaydāwī, Jughrāfiyya ma Ba’ad al-Isti‘mār, Tarjuma‘h: ’Asad Ḥalīm, Murājay‘ah: ‘Aadnān Jarjis, (al-Kawait: Majallah al-Thaqāfah al-‘Aālamiyyah, al-Majlas

al-Waṭnī li Thaqāfah wa al-Fanūn wa al-Ādāb, Sebtambar, Maṭbū'ah 2001, al-'Adad 108).

10. Mircea Eliade: al-Muqaddas wa al-mudannas, Tarjuma 'Abd al-Hādī 'Abbas (Sūriyya: Dār Damishq li Tabā'ah wa Nashar, Ṭabā`ah-1, Maṭbū'ah 1988).
11. Muḥammad Ḥusain Haykal, al-'Imbarāṭuriyyah wa al-'Amākin al-Muqaddisah (al-Qāhirah: Dār al-Halāl).
12. Muḥammad Ṣādiq al-Karbās, Dawr al-Marāqid fī Ḥayāt al-Sha'ūb, 'A'adād 'Abd al-Ḥusain al-Ṣāliḥī, (Bayrūt: Lubnān, Bait al-'Ilm linābhayn, Ṭabā`ah-1, Maṭbū'ah 2004).
13. Nūrah Būḥnāsh, Falsafah al-Qiyam 'Ind Bergeson, (al-Jazā'ir: Manshūrāt al-Ikhtilāf, Ṭabā`ah-1, Maṭbū'ah 2010).
14. Pierre Montebello: Nietzsche wa 'Irādah al-Quwwah, Tarjumah: Jamāl Mufraj, Bayrūt, al-Jazā'ir: al-Dār al-'Arbah lil 'Ulūm Nāshirūn, Dār al-Ikhtilāf, Ṭabā`ah-1, Maṭbū'ah 2010).
15. Roger Caillois, al-Insān wa al-Muqaddas, Tarjuma Samīrah Raysha (Bayrūt, Lubnān: Markaz al-Dirāsāt al-Waḥdah al-'Arabiyyah, Ṭabā`ah-1, 'Aghsaṭas, Maṭbū'ah 2010).
16. Salmān Hādī Āal Ṭa'amah, Karbala'fī Thaurah al-'Ishrīn, (Bayrūt: Lubnān, Dār Baysān li Nashr wa al-Tawzī' wa al-'Aylām, Ṭabā`ah-1, Maṭbū'ah 2000).
17. Shams al-Dīn al-Kaylānī, Min al-'Aūd al-'Abdī 'Abdī 'Ila al-Wau'ī al-Tārīkhī, (Ṭabā`ah-1, Maṭbū'ah: Dār al-Kanūz al-'Adabiyyah, Ṭabā`ah-1, Maṭbū'ah 1998).